الفصل الأول

# 1

# توطئة

# *Prologue*

# 1

إن الترجمة للأشخاص الذين لا يتكلمون لغة مشتركة هي فعل من أفعال التواصل اللغوية والاجتماعية التي يلعب المترجم خلالها دوراً مؤثراً نابعاً من توجهه في معرفة وفهم الحالة التواصلية برمتها، بما في ذلك الطلاقة في اللغتين المترجم منها والمترجم إليها والكفاءة في استخدام المفردات المناسبة في اللغتين، وإدارة انسيابية الكلام بين الثقافات. وخلال العقود الأخيرة [من القرن العشرين]، بدأ الباحثون بدراسة عملية الترجمة الفورية على أنها جزء من عملية تفاعل شفاهي؛ أي عملية تحادثية يتبادل خلالها أفراد الكلام عبر المترجم أو_كما سأسميها هنا– عملية خطابية Discourse Process. وعلى الرغم من أن المصطلح "خطاب" قد شهد استعمالاً واسعاً واقتُرن بمجموعة متنوعة من المذاهب، إلا أننا نجد أنَّ أول استعمال لهذا المصطلح قد ورد في ثنايا علم اللغة (هاريس 1952). ففي علم اللغة نجد أن تحليل الخطاب هو مصطلح مألوف نشأ من فروع عديدة في علم اللغة، وهو يشير غالباً إلى تحليل "اللغة إلى ما بعد حدود الجملة".

يدور هذا الكتاب حول تطبيق المناهج اللغوية لتحليل الخطاب على الدراسة التحليلية للترجمة (أي حول دراسة الترجمة الشفاهية) بكونها خطاباً، أي على أنها عملية تبادل الكلام بين متكلمين أساسيين اثنين عبر مترجم. كما انه يدور حول فهم الكيفية التي يدير المترجم من خلالها عملية الخطاب بين مشاركين أساسيين لا يتكلمان نفس اللغة. ويسعى الكتاب إلى تحقيق ثلاثة أهداف، هي: تعريف اللقاءات المترجمة بشكل عام وفقاً لإطار خطابي؛ وصف وتحليل وتفسير تبادل الأدوار في لقاء مترجم واحد؛ ومناقشة دور المترجم عند تأديته هذا الدور في التفاعل مع الآخرين من خلال تحليل هذا الأداء في اللقاء المذكور. ولغرض معرفة كيفية ادارة المترجم لانسيابية الكلام، فقد درسنا بالتفصيل أحد النظم الأساسية واللازمة: نظام تبادل الأدوار في الكلام. فتبادل الأدوار هو في صميم الطريقة التي يتبادل من خلالها الناس الكلام احدهم مع الآخر. لقد درس الكثير من الباحثين مراراً كيف تدور الأدوار، وكيف يتبادل الأشخاص أدوارهم في الكلام في الخطاب التحادثي الاعتيادي وفقاً للمناهج اللغوية للخطاب. وقد طبقت على هذه الدراسة النتائج التي توصل إليها هؤلاء الباحثون.

تبين في هذه الدراسة أن المتكلمين الأساسيين يتبادلان الأدوار مع المترجم وأنهما يشتركان في ايجاد الأدوار. ويشترك المترجم أيضاً في هذه العملية بايجاد الأدوار والمساهمة في ايجاد الحلول لبعض ظواهر الدور، مثل السكوت والتوقفات والكلام المتزامن والتداخل. يتأثر اللقاء المترجم نفسه بكل من العوامل اللغوية والعوامل الاجتماعية مثل مكانة المشاركين، ومستويات المواربة، واستيعاب وتتبع سير الكلام. وقد توصلت الى ان المترجمين هم مشاركون اساسيون عاملون في الترجمة المباشرة وجهاً لوجه face-to-face وأن بإمكانهم التأثير على اتجاه اللقاء المترجم ونتائجه.

يتيح تفحص الأدوار خلال المحادثة المترجمة نظرة تجريبية جديدة نسبياً الى الترجمة بكونها عملية تبادل معتمدة على بعضها البعض وذات خصائص فريدة ومعقدة؛ إنها عملية تتطلب مشاركة المترجم في تنظيم وادارة تبادل الأدوار، وتتطلب أيضاً اعتبار اللقاء المترجم على انه فعل اجتماعي ولغوي تحكمه من، حيث الأساس، ادوار وأهداف اجتماعية خلال عملية التواصل.

## الخطاب والترجمة Discourse and Interpreting

منذ أواسط ثمانينيات القرن العشرين بدأت الدراسات اللغوية تشق طريقها في حقول مثل علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics، والاثنوغرافيا (أو علم اللغويات البشرية) Ethnography، والتحليل التحادثي Conversational Analysis. وعلى الرغم من أن هذه الحقول تختلف في بعض من افتراضاتها الباطنية حول اللغة، وحول وحدات اللغة كالبيانات، وطرائق تحليل البيانات، ومفاهيم السياق، إلا أنها في الوقت نفسه تكشف عن أوجه تشابه مهمة. وتشكل أوجه التشابه هذه مجموعة مركزية من المبادئ الموحدة للدراسة الأكاديمية للخطاب (شيفرن، 1994). والعديد من هذه المبادئ _مثل استعمال بيانات تحادثية طبيعية، البحث عن النماذج المتكررة عبر الكلام وتحليلها، معرفة كيفية مساهمة المشاركين في محادثة، تقصي العوامل الاجتماعية والثقافية التي تؤثر في ما يقوله الناس والكيفية التي يقولون فيها شيئاً ما – كلها تمثل بعضاً من سمات تحليل الخطاب. ولأن المترجمين يترجمون الخطاب، أو المحادثات، فإنهم يشاركون في عملية دُرستْ وحُلِّلت لعقدين من الزمن في سياقات أحادية اللغة. ويمكن تسجيل السياق المترجم، ودراسته ووصفه وتحليله بنفس الطريقة لمعرفة كيفية حصول تبادل الرسائل فعلياً بين متكلمين اثنين للغتين مختلفتين.

هذا يعني كذلك أن تحليل الخطاب هو طريقة شاملة لدراسة التواصل الإنساني، وهو حقل يتسع، ويتشعب، ويستحوذ على الاهتمام، ولذلك فهو مناسب تماماً لدراسة الترجمة، خصوصاً إذا طبقت آلياته على أجزاء من عملية خطاب مترجمة، مع دمج المناهج البنيوية والوظيفية لغرض التحليل. ان دراسة مثل هذه من شأنها ان تسمي وتصف جوانب من الترجمة بطريقة لم تحصل حتى إلى وقت قريب. ودراسة كهذه من شأنها أن تسهم كذلك في ايجاد فهمٍ أفضل للمكونات التي تكوِّن النشاطات المترجمة بشكل عام مما يمكن أن يبينه الوصف المحدد لنشاط مترجم واحد فقط.

إن إحدى الميزات الأساسية لتحليل المحادثات، أو الخطاب، هي ان المتكلمين يتبادلون الادوار. يفترض اغلب الامريكيين انه اثناء تبادل الادوار فان شخصاً واحداً يتكلم، ويتوقف ومن ثم يتكلم الشخص الاخر وهكذا. غير أن الدراسات الخطابية للتفاعل التحادثي قد بيَّنت ان الادوار لا تحدث دوماً بشكل تبادلي وان الخصائص الاخرى، مثل الكلام المتزامن والتوقفات، تلعب دوراً في طبيعة تبادل الكلام بين شخصين، وعليه فان الخطوة الأولى تتمثل في وصف كيفية توالي الأدوار في المحادثات المترجمة.

يوجد، في أية محادثة، متحدثان يتكلمان ويستمعان ايضاً. والاستماع هو الطريقة التي يأتي من خلالها الجواب اللاحق. ان تبادل الرسائل والمحافظة على استمرار المحاورة لا يسمحان لأيٍّ من المتكلمين ان يكون خاملاً. وفي العملية الخطابية يجب ان يؤخذ في الحسبان استمرار الكلام ومساهمات جميع المتكلمين ليتسنى فهم معنى أي لفظ منفرد. إضافة إلى ذلك فان المتكلمين يتفاعلون لتحقيق غرض (او أغراض)، فهم يحملون معهم توقعات مختلفة حول الطريقة التي يحققون من خلالها أهدافهم، أثناء الكلام. وأكثر من هذا فان عندهم فهماً مختلفاً للطرائق التي يوظفونها لعرض نواياهم ولإعطاء او تلقي المعلومات، ولهم طرائقهم المختلفة كذلك في تقديم أنفسهم وكيفية فهمهم للعلاقات الموجودة في لحظة تبادل الكلام.

و لتعقيد الحالة أكثر، فان المتكلمين يعرضون أفكارهم عبر بنى لغوية مختلفة ويتبعون أعرافاً تلقائية ولاشعورية مختلفة عند استخدام هذه البنى. على سبيل المثال، يشتمل استعمال اللغة انظمة لتنظيم الكلام مثل، استهلالات الحديث ونهاياته، تبادل ادوار الكلام، التوقفات، الإشارة لاستمرار الأفكار، المقاطعة، ووجود الفهم أو عدمه.

في الآونة الأخيرة، أجرى الباحثون في الترجمة، والكثير منهم كان او لا يزال متدرباً،

دراسات تشير الى مشاركة المترجمين في العمليات الخطابية (مثلاً، متزگر 1995؛ روي 1989 (أ)؛ ڤادنسيو 1992، 1998). وقد بين هؤلاء الباحثون أن المترجمين يساهمون في مناقشة مسائل مثل تحديد صاحب الدور، طلب التوضيح، حث احد المشاركين على الاجابة او اخذ الدور، توضيح ما يقصده احد الأطراف او ما يقصده الطرف الاخر، او توضيح أنّ أحد المشاركين لا يفهم الاخر. ولأن المتكلمين الأساسيين في اللقاءات المترجمة لا يعرفان لغة احدهما الآخر1، فان المترجم هو المشارك الوحيد الذي بإمكانه، منطقياً، المحافظة، وتعديل، و_اذا كان ضرورياً_ تصحيح الاختلافات في البنية والاستعمال، لأن المترجم، مثالياً، هو الوحيد الذي يعرف الاستراتيجيات الخطابية أو التحادثية لكلتا اللغتين وبامكانه استعمال هذه الاستراتيجيات بسهولة. وهذا يعني ان المترجم مشارك ثالث فعّال بإمكانه التأثير على اتجاه اللقاء وناتجه، وأن ذلك النشاط بحد ذاته نشاط متداخل الثقافات والشخوص وليس مجرد نشاط آلي أو تقني.

## الدراسة: The Study

إن هذه الدراسة مبنية على وصف وتحليل لقاء مترجم بين استاذة جامعية وأحد طلبة الدراسات العليا يرافقهما مترجم. تتحدث الاستاذة اللغة الانگليزية الاميركية، بينما يتحدث (او يستخدم) الطالب لغة الاشارة الامريكية (اللغة التي يستخدمها الاميركيون ممن تربطهم علائق الارث اللغوي والثقافي ويعانون من فقدهم حاسة السمع ولذا يسمون انفسهم بالصُم (فاقدي السمع)).أما المترجم فهو شاب يجيد بطلاقة استعمال اللغة الانگليزية الاميركية ولغة الاشارة الاميركية ويعمل مترجماً محترفاً، وهو حائز على إجازة لممارسة الترجمة. التقى الثلاثة في صباح أحد الايام لفترة تقرب من خمس عشرة دقيقة قبل بدء المحاضرات لمناقشة الواجب الذي كُلّفَ به الطالب وقد حملت معي الة التصوير وسجلت اللقاء. أنا أيضاً أتحدث (أو استخدم) اللغة الانگليزية الاميركية ولغة الاشارة الاميركية وكنت طالبة في نفس البرنامج الذي يدرس فيه الطالب الاصم.

ان احد اهم مزايا هذه الدراسة ان التحليل ينبثق عن لقاء حقيقي ومصور على شريط فيديو. ومن الناحية النموذجية، فان المواقف التي تجمع ثلاثة اشخاص لا يطلع عليها الجمهور نظراً للطبيعة الشخصية والخصوصية للقاءات التي ربما تناقش خلالها مواضيع حساسة. والكثير من هذه المواقف سري ايضاً ولذلك فانه من الصعوبة بمكان مشاهدتها